

علاقات الأنباط الخارجية لافي صبري

حاول الانباط الاستفادة من عدم وجود دولة قوية في منطقة الهلال الخصيب فأرادوا توسيع نفوذهم على البلدان المجاورة لهم، وهذا الأمر حدد علاقاتهم مع هذه البلدان، مما اضطر ملوكهم الأول، الحارث الأول (169 – 146 ق.م) والثاني (110 - 96 ق.م) وعبادة الأول (90 ق.م) الى الاشتباك بعدة حروب مع دولة اليهود الهيروديين التي تأسست في فلسطين.

وقد استطاع الملك الأخير ان يستولي على جنوب شرقي سوريا بما فيها حوران وجبل الدروز.

من أشهر ملوك الانباط الحارث الثالث (87 – 62 ق.م) الذي استطاع ان يكسر اليهود في عدة مواقع ويحاصر القدس. ثم استنجد به أهل دمشق وطلبوا منه ان يتولى أمرهم بدل السلوقيين الممقونيين، ولقد لبى نداءهم وخلعهم من السلوقيين. وقد رحب به أهل دمشق وسموه "محب الهلنيين" وهكذا استطاع ان يبسط سيطرته على قلب سوريا. ولما جاء القائد الروماني "بومبي" الى الشرق حاول احتلال بلاد الانباط فأرسل حملة ضدهم لكن الحارث الثالث استطاع صد تلك الحملة والاحتفاظ باستقلال بلاده رغم انه خسر ما كان قد حصل عليه في سوريا.

ادخل الحارث الثالث الحضارة الهلينية في بلاد الانباط، فقد سك النقود على الطراز الهليني، واخذ المعيار البطليموسي للعملة. وجاء بمعماريين سوريين يشيدوا له قبرا. أدرك الأنباط خطر الإمبراطورية الرومانية، فسعوا الى التقرب منها، لذلك نجد ان ملكهم مالك الأول (50-27 ق.م) انجد "يوليوس قيصر" بقوة عندما حاصر هذا الاسكندرية، كما ساعد ابنه عبادة الثالث (28-9 ق.م) حملة اليوس كاليوس ضد اليمن وأمدها بأدلاء من الأنباط.

وقد ظلت العلاقات بين الأنباط والرومان طيبة، واستطاعوا ان يحافظوا على سلطنتهم في جنوب فلسطين وشرقي الأردن وجنوب شرقي سوريا وشمال الجزيرة. وانشأوا بضعة خانات ومحطات للقوافل وقلاعاً في وادي عربة لتكون مركزاً للحاميات التي تحمي القوافل.

ان مجيء الرومان أدى الى نشر الأمن في ربوع البلاد. كما ان الاباطرة منذ عهد اغسطوس اتبعوا سياسة السلم واتفقوا مع البارثيين الذين كانوا يحكمون العراق، كما أدى للعودة الى حياة السلم والطمأنينة في بلاد الهلال الخصيب. وأخذت التجارة الخارجية تسلك تدريجياً طريق العراق وهو الأقصر الذي أدى الى انتعاشه.

لقد نشأت مدينة "بطرا" كمحطة للطرق التجارية، فلا عجب ان تكون التجارة وخدمة القوافل العمل الرئيس للأنباط والأساس الذي قامت عليه مدينتهم وقد مدوا نفوذهم الى ما يجاورهم من البلاد والمدن فحصنوها، واقاموا فيها حاميات للقوافل وأماكن لاستغلال المناجم. واصبحت مدينتهم في القرن الأول قبل الميلاد المدينة الرئيسية للقوافل، وسوقاً

عظيماً، فسيطرت على طرق غزة وبصرى ودمشق ورايلة، وقد حفروا الآبار واقاموا مشاريع المياه، وحولوا بعض المناطق الصحراوية الى اراض زراعية. أصبحت "بطرا" مركزاً تجارياً واقتصادياً يساهم أهلها في التجارة والاقراض وقد امتد نشاطهم التجاري الى مناطق واسعة، إذ وجدت آثار تجارتهم في سلوقية وموانئ سوريا والاسكندرية وديلوس ورودىس.

واهم السلع التي كانوا يتاجرون فيها الاقوية من اليمن، والحريير من الصين، والحناء من عسقلان، والزجاج وصبغ الأرجوان من صيدا وصور، واللؤلؤ من الخليج العربي والخزف من روما. هذا الى جانب ما كانت تنتجه بلادهم من الذهب والفضة والقار وزيت السمسم وكان ميناء غزة وهو ميناء النبط المفضل على البحر المتوسط. وقد استفادوا منه كثيراً لقربه من النبط، وكانوا يشترون منه ما يرد عليه من بضائع من موانئ البحر المتوسط.

إن عدداً كبيراً من الرومان ومن الغرباء من الجنسيات الأخرى كانوا يعيشون بين النبط، وكانوا في نزاع وخصام بينهم، أما النبط فكانوا في صفاء ووثام يعيشون عيشة سلام وراحة.

كان النبط من الشعوب العربية التي جمعت ثروة عظيمة واكتنزت الذهب والفضة بفضل اشتغالها في التجارة وموقعها الممتاز الذي تلتقي عنده جملة طرق تجارية برية كانت عماد طرق القوافل في ذلك الزمن، اليها يصل طريق اليمن والعربية الجنوبية المهم الموازي للبحر الأحمر، ومنها يتفرع الطريق الى مصر والشام وغزة والمدن الفينيقية على البحر المتوسط، واليها يصل طريق تجاري آخر يصل الخليج بمدينة "بطرا" ويصل مدينة تجارية كان شأنها في التجارة أقل من شأن عاصمة النبط وهي مدينة "جرها" على الخليج، فتحمل اليها تجارة الهند وما وراء الهند، وحاصلات ايران والعربية الشرقية لتوزع منها في بلاد الشام وموانئ البحر المتوسط وحصر.

BAIT AL-ANBAT

بيت الأنباط